عبد الودود الأمين

صِدقُ العَقِيدَة

الحبّابُ بن عبد الله بن أُبيّ

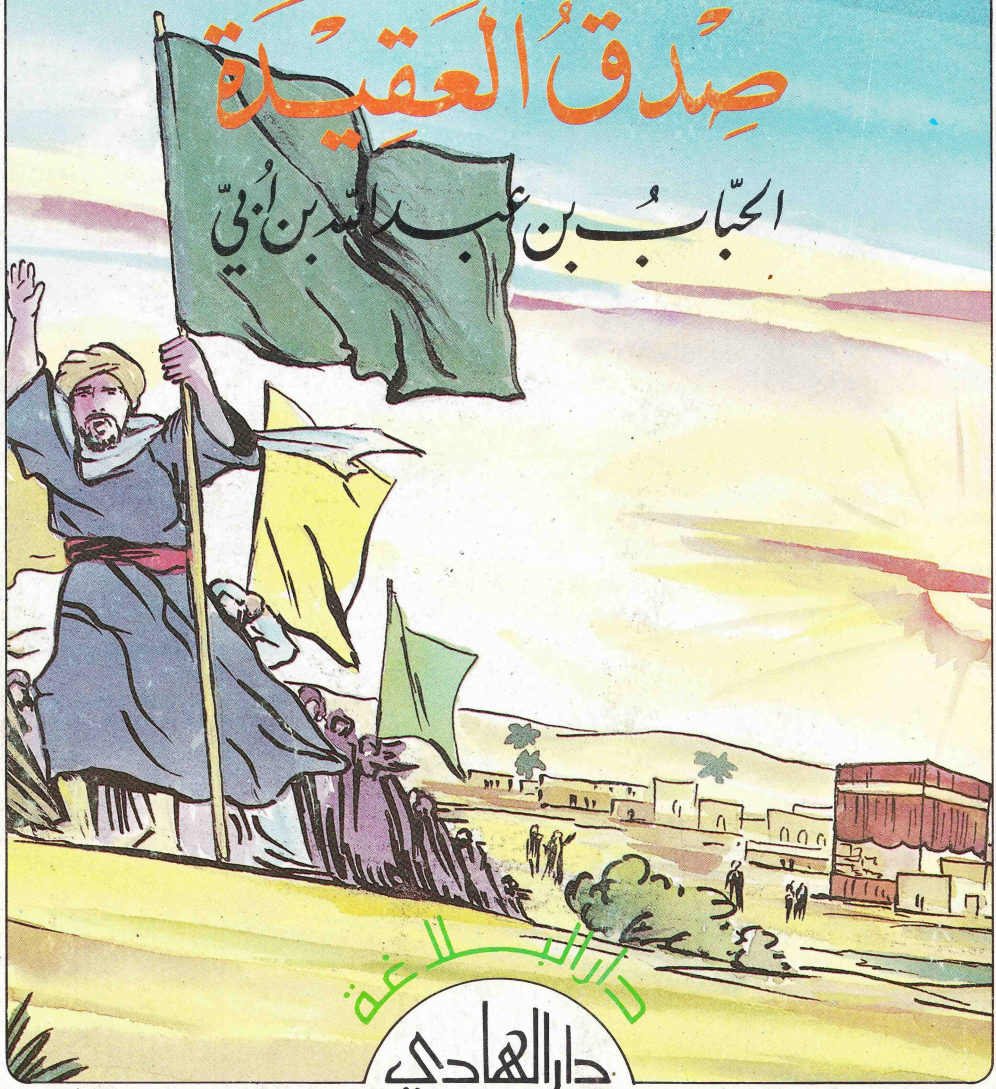

دار البلاغة
دار الهادي

PDF مكتبة نرجس
www.narjes-library.blogspot.com

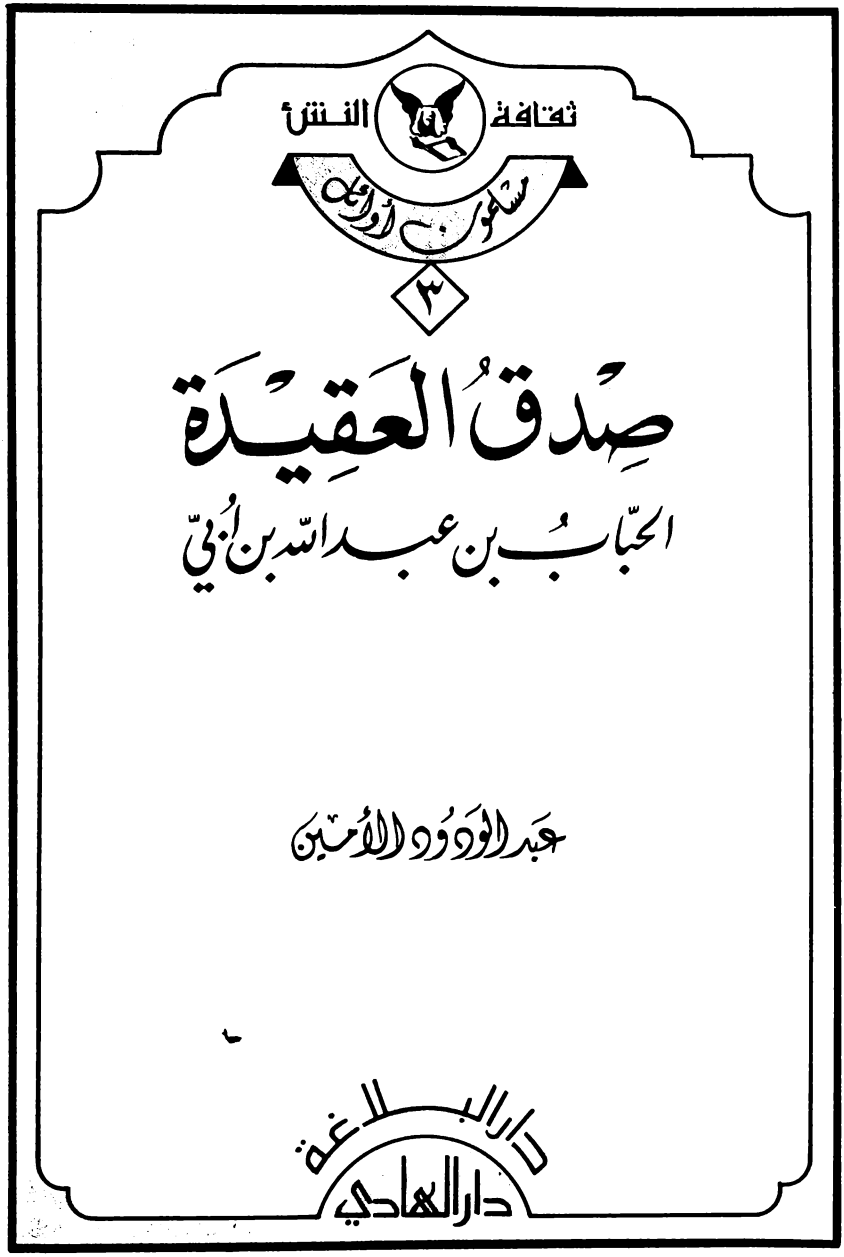

ثقافة النشء
مشاعل أوائل
٣

صِدقُ العَقِيدَة

الحبّابُ بن عبد الله بن أُبيّ

عبد الودود الأمين

دار البلاغة
دار الهادي

بسم الله الرحمن الرحيم

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

دار الهادي - دار البلاغة - للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون وفاكس: ٨٣٤٢٦٥ - ٣١٧٤٢٥ - تلكس ٧٧٧ MCS ٢٢٥٩٧ بلاغ.
ص.ب: ٢٥/٢٨٦ + ٢٥/١٦ غبيري - بيروت - لبنان.

رسوم: جمال درويش

إنبلجَ فجرُ الإسلام في ربوع مكَّة ، ليبدِّدَ ظلام الجهل والكفر والطغيان الجاثم على صدور الناس . وانتشر نورُ الإسلام ليبيدَ ليل الجاهلية المرعب والمليء بالكوابيس القاتلة . وتنفَّس الناسُ الصعداء ، وقد ملأ نفوسهم الأملُ بحياة العدلِ والسعادة الأبدية .

دخل النَّاسُ في دين الله أفواجاً ، لينعموا بتعاليمه السمحاء وليسودَ الحب والأمان حياتهم .

وكـان من أوائـل الــداخلين في دين الله فتى جميـل
المحيّـا ، ذو طلعـةٍ بهيّـة زادهـا نـورُ الإسـلام بهــاءً

واشراقاً ، بعـد أن ارتوى قلبُـه اليافـع من حبّ الله ، فزاده هدى إلى سبيله القـويم ، وأرشدهُ إلى صـراطه المستقيم .

ذلك الفتىٰ هو الخبَّاب بن عبدالله بن أُبَيْ الذي دخل الإسلام ، وذاب في تعاليمه ونذر نفسه وحيـاته في سبيل نصرتِه وإعلاء كلمة الله .

ولقد كانت معاناة المسلمين صعبة ، خصوصـاً أن الكفـر الذي كـان يسود الحجـاز ويحكم مكة قـد استنفر كل قواه الشيطانية ضد الرسول (ص) والـدين الجديد . وتحمَّـل المسلمون كـلَّ المعانـاة والعذاب بصبر عظيم تعلّموه من الإيمان بالله . . إلا أن معانـاة الخَبَّاب كانت مضاعَفة فهو بالإضافة إلىٰ ذلك العذاب الذي كان يتلقّاه على أيدي الطغاة من مشركي قريش وغيرهم ، كان عـذابه الأكبـر نابعـاً من أبيه وأهله في

البيت ، فقد كان أبوه من أشدِّ الناس عداوة لرسول الله (ص) . وفي الوقت نفسه ، كان الحبَّاب مشهوراً بحبِّه لأبيه ولأهله ، وهو من أشد الناس برَّاً بوالديه وعطفاً عليهما . لذلك ؛ وقع في حيرة كبيرة وعذاب هائل ، جعلاه لا يذوق طعم الراحة بسبب هذه المشكلة المعضلة التي وقع فيها .

أما أبوه ، فما أن علم بإسلام ابنه حتى طار صوابه ، ومادت به الأرض من شدة الغضب ، وتطاير الشرر من عينيه الحقودتين ، وراح يصبُّ جام غضبه على ابنه ، والحبّاب يتحمّل منه كل الأذى والبلاء بصبر وحكمة . . . وحينما يشتد ألمه ، كان يذهب إلى رسول الله ويشكو له ما ألمّ به من أبيه ، فيخصّه الرسول (ص) بالكثير من عطفه وحنانه ، ويطيّب خاطره ، ويوصيه بوالديه خيراً ويطلب منه أن لا

يعاملهما إلاَّ بالحسنى .

فيقول الحبّاب بكل طيبة خاطر . سمعاً وطاعةً يا رسول الله .

ويتلقّى الأذىٰ الكثيـر من أبيـه ، يتلقى الأذيّـة وشتىٰ أنواع العقاب والإهانة بقلب عامر بالإيمان .

وكان أبوه يعجب أشد العجب لتحمل ابنه ولقوة صبره وإيمانه ، ولا يزيده ذلك إلا إمعاناً في التنكيـل وإصـراراً على مواصلة تعـذيبـه ، علّه يعـود عن دين محمد (ص) .

وكان عناد الأب يزيد الإبن صبراً وقوَّة إيمان . وكان يقابل ذلك الأذى بالحسنى وطَيّب القول ، فيظلُّ يردّد : سامحك الله وهداك للإيمان .

وهذا ما كان يُفقِد الأب صوابه ويجعله يرتجف

من الغضب والحقد ، كسعفة في مهب الريح . .

وحين يتأمَّل الحبّاب في أمره وأمـر أبيه يـأخذه العجب ، إذ كيف أن أباه لا يهتدي ولا يلين له قلب ، وأي مصير سيلقاه يوم القيامة ، يوم الحساب الأكبر . وكان أكثر ما يؤلم الحبّاب هـذا الأمر ، وكلمـا تذكّـر الموت واليوم الآخر وتذكّر مصير أبيه الأسود ، وما من حيلة بيده سوى أن يقوم في جوف الليل ليصلّي ويفزع إلى الله أن يهدي أباه ، ويتوسل ويبكي بكاءً مراً لمـا يـراه جلياً من مصيـر مهـول سيلقـاه أبـوه في الحيـاة الأبدية ، يوم يحاسَب المرء على كل صغيرة وكبيرة ، ويلقى جزاءه الأوفى .

والحبّاب ، شأنه شأن كـل مؤمن يذكـر الموت والحساب في كل لحظة وكل حين ، وهذا ما يجعـل إيمانه متوقداً كشعلة لا تنطفىء . وفي الوقت نفسه ،

يزيد من آلامه مع أبيه .

ولكن أبـاه الذي طغى وتجبّـر ، ولم تلنْ نفسه للهداية والصـلاح قَيْدَ شَعْـرَة ، ولم يعرف الخيـر في حياته طرفة عين أبداً وقد تشرّب الشرّ حتى صار يجري في عروقه كما الدم . . فكيف له أن يؤمن ويصبح من الأخيـار ، والله سبحانـه وتعالى لا يهـدي أمثالـه من الأشرار ؟ بل يزيدهم طغيـاناً وكفـراً ، ليزيـديهم في الحياة الآخرة عذاباً وسعيرا .

وهكذا كانت عذابات الحبّاب لا تنتهي ، وإنما ظلت تتضاعف يوماً بعد يوم ، وأكثر ما كان يؤجّجها ما يراه من أعمال أبيه وزمرته الكافرة ، من تدبير المكائد للرسـول وللمسلمين وتحـريض الكفـار عليـه وعلى الإسـلام ، وهـذا مـا لا يمكن أن يصبـر عليـه ، أو يطيقه .

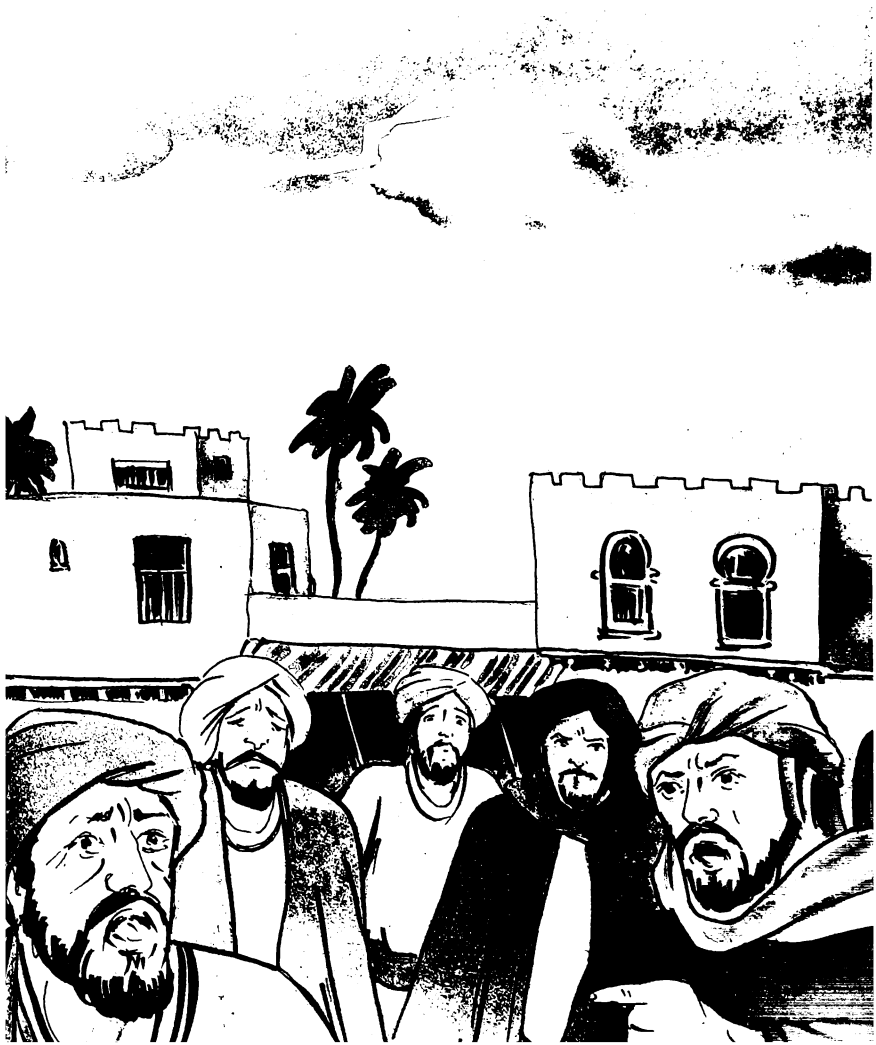

وكان لا بد له من أن يهجر أباه وأهله ، وهذا ما فعله ؛ إذ اتخـذ من الإسـلام أسـرة لـه ومن أخـوتـه المسلمين أهلاً وأقاربَ وأحبّة . والرسول (ص) يحنو عليه ، ويسبغ عليه من حنانـه القدسي مـا يُنسيه كـل همومه وآلامه . .

إلا أن الغصَّة ظلت تعصر قلبه ، وهو يرى أباه يتمادى في غيِّه ، ويصبح من اعتى أعداء الإسلام .

وازدادت الغصّـة حتى كادت تخنقـه ، عنـدمـا دخل أبوه في الإسـلام منافقـاً ، فقد اضـطر لدخـول الإسـلام ، بعـد أن دخلت قبيلة الخـزرج كلهـا في الإسلام ، وهو أحد زعمائهـا ، وكان لابـدَّ له من أن يدخل الإسلام ، وإلّا خسر زعامته تلك .

لذلك أعلن إسلامه ، وقلبـه يطفـح بالكـراهية للإسلام ولرسول الله (ص) .

وسوَّلت له نفسه أمر النفاق ، فوجد أنه يستطيع أن يكيد للإسلام من داخله أكثر مما لو كان خارجه . فهو حينما يدّعي أنه مسلم سوف يتمكّن من خداع بعض المسلمين .

وهذا ما فعله منذ أول يوم أعلن فيه إسلامه إلى آخر يوم في حياته . إذ كان يدبّر المكائد ويحوك الفتن ، ويجمع حوله المنافقين من أمثاله . .

والحبّاب يرى كل ذلك ويزداد عذابه ، والرسول (ص) يهدّىء من روعه . ويثنيه عن التصدّي لأبيه ومحاربته .

وفي معركة بدرٍ ، خرج كل المسلمين إلى المعركة ، ولم يتخاذل عن الخروج سوى أبي حباب (عبدالله بن أبي) ومن استطاع أن يجمعهم من

المنافقين .

وبعد الإنتصار الكبير الذي أحرزه المسلمون في بدرٍ ، ازدادت ضغينة عبدالله بن أبي وحقده فراح يتمادى في غيّه يثير الشغب هنا ، ويفتعل المشاكل هناك ، ويتفنّن في حياكة الدسائس ويبرع في صناعة الفتن . فنفذ صبر الحبّاب ، وأتى النبيَّ (ص) فطلب إليه النبي أن يثوب إلى رشده ويصبر ، ولم يترك له الخيار في وضع حدّ لكل أعمال أبيه المشينة .

وبلغ الأمر ذروته عندما وصلت أنباء من مكة أن المشركين تجهَّزوا بجيش هائل العدد والعدة ، وتوجهوا لحرب المسلمين في أحد . وهنا وجد المنافق الكبير عبدالله بن أبي (أبو الحبّاب) فرصته سانحة ، فهو يستطيع الآن أن يخذل الكثير من ضعاف

النفوس من المسلمين عن نصرة دينهم . وراح يندسّ
في صفـوف المسلمين ، وبخاصّـة أولئـك الـذين لم

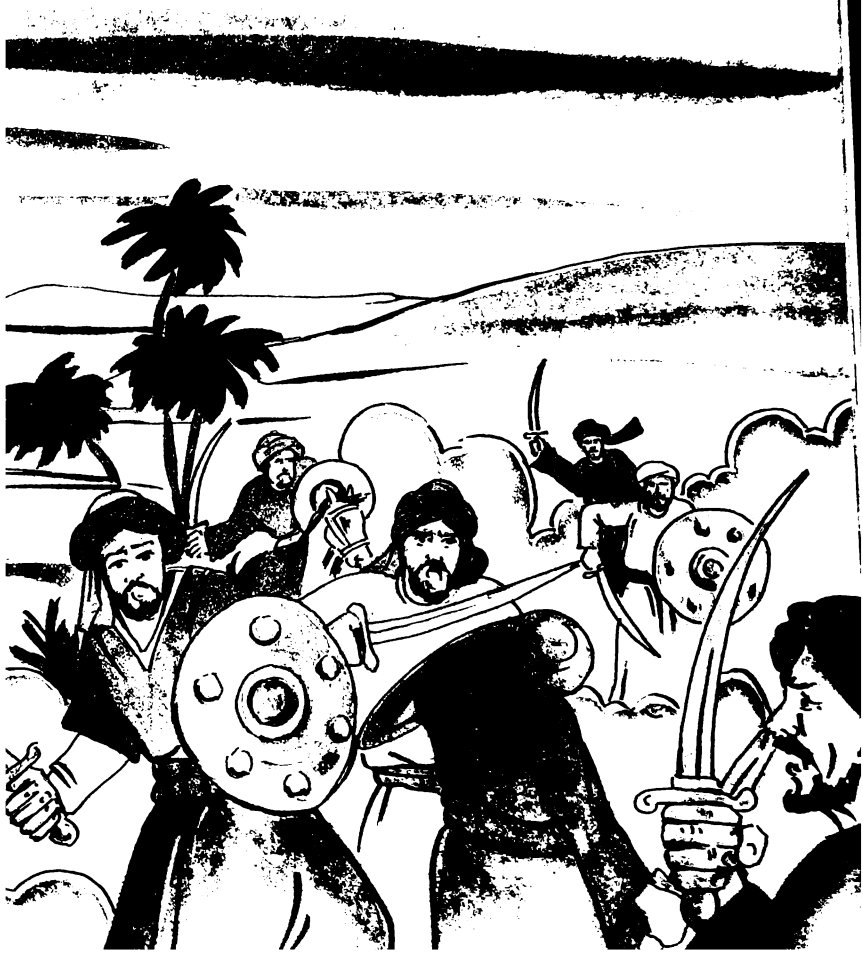

يترسّخ الإيمـان في نفوسهم بعـد ، فصار يهمس في آذانهم أن قـريشـاً قـدمت بجيش هـائـل ، لا طـاقـة للمسلمين على ردّه ، فتعـــداده يبلغ أضعـــاف جيش المسلمين . وبـإسلوب شيـطاني قـذر ، تمكّن كبيـر المنافقين من اقناع الكثيرين بالتخاذل وعدم المشاركة في الجهاد المقدس والدفاع عن دينهم .

وعنـدمـا خـرج المسلمـون إلى أحـد ، خـرج المنافق الكبير عبدالله بن أبيّ معهم ، لأنه كـان يعلم أن فـرصاً كثيـرة للشغب والكيد لـلإسلام ستتـاح لـه هناك . بالإضافة إلى الغنائم التي وجد أنه خسرها في معركة بدر .

وما أن وضعت الحرب أوزارها ، وانتهت معركة أحد ، وحدث مـا حدث فيهـا من بلاء وتجـربة مـرَّة

وقاسية ، وكان للمنافق عبدالله بن أبيّ دور في خذلان المسلمين . . .

وسطعت الشمس في كبد السماء تصب أشعتها كحمم البركان من شدة لهيبها ، والإنهماك والتعب في المعركة سلب المسلمين كل قواهم ، حتى لم يعد الواحد منهم قادراً على ركوب راحلته أو المشي ولو خطوات ، فأمرهم النبي بالإستراحة حتى تخف حدّة الشمس ويستعيد المحاربون بعضاً من نشاطهم . .

وفي أثناء ذلك ، حدث أن اختلف اثنان من المسلمين على الماء ، وصادف أن أحدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين ، وما أن سمع كبير المنافقين عبدالله بن أبي بخبر نزاعهما حتى ركض نحوهما ليصبَّ زيت نفاقه على النار ، فهذه فرصته

الذهبية التي ينتظرها . . . تدخَّل إلى جانب المسلم الأنصاري ، وراح يزبد ويرعد ويزعق : يا

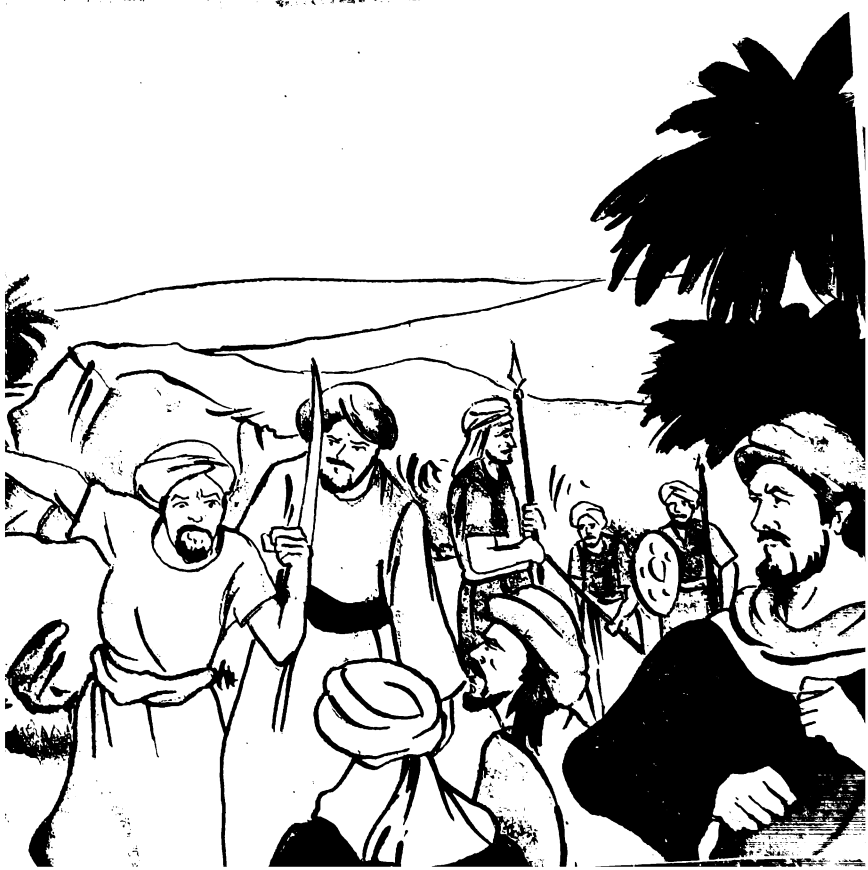

للأنصار . . يا للأنصار . .

وجاء معه بعض من رهطه المنافقين ، وهم يحاولون إثارة الفتنة على أشدّها ، واستلوّا سيوفهم يريدون قتل المسلم المهاجر . فتدخل بعض المهاجرين للدفاع عن أخيهم ، وكادت خطة المنافقين أن تنجح ، وتحدث الفتنة التي طالما انتظرها عبدالله بن أبي لولا لطف الله وإخلاص المسلمين ووعيهم وإيمانهم العميق . إذ سرعان ما اكتشفوا المكيدة ، وأبعدوا المنافقين وزجروهم ، وصالحوا الأنصاري والمهاجر ، وانتهىٰ الأمر .

إلا أن المنافق الكبير الذي أخزاه الله بكشف ما يدبِّره لم يكتفِ بذلك ، وقرّر أن لا يترك هذه الفرصة تفوته ، وجمَع بعض ضعاف النّفوس ، من قبيلة الخزرج ، إضافة إلى زمرته المنافقة ، وراح يحرّضهم

علىٰ قتال المهاجرين ، وبحجّة أن المهاجرين سيستولون على كل شيء في المدينة . وراح يخطب فيهم ، ويشحَذ العصبيات الجاهلية ، فكان يقول :

ـ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخرجنّ الأعَزُّ منها الأذلّ . . .

ووصل النبأ إلى النبي ، فتألّم أشدّ الألم ، وأمر الجيش بالمبادرة إلى الرجوع إلى المدينة ، كَي لا تقوى الفتنة ولا يعطى ذلك المنافق اللعين فرصة أكبر لإذكاء نارها .

وهنا ، أظلمت الدنيا في عيني الحبَّاب حتىٰ لم يعد يرى أمامه شيئاً ، وما من قوة صبر يمكن أن تجعله يطيق ما يفعله أبوه ، فقد تجاوز الحدود ، وأصبح يشكِّل خطراً كبيراً على الإسلام .

وتقدَّم إلىٰ الرسول مطالباً أن يأمره بوضع حدّ لكل تصرفات أبيه ، وأبدىٰ استعداده حتىٰ لقتله .

رفض الرسول (ص) ، وردّ الحبّاب وكل من طلب منه أن يسمح له بقتل ذلك المنافق الكبير ، وقال لهم :

ـ إنني أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه .

لكن الحبّاب قرّر في نفسه أمراً ، فهو لم يعد يطيق كل أعمال أبيه المخزية والشيطانية ، واتخذ قراره النهائي الذي لا رجعة فيه ، إذ يجب أن يكون له موقف ، فهو المعني بهذا الأمر قبل غيره ، فالذي يريد إثارة الفتنة هو أبوه وليس أحد سواه . . لا ، لن تمر هذه الفتنة إلا علىٰ جثته .

وهكذا كان قراره الأخير ، وباشر التنفيذ فور

وصولهم إلى باب المدينة .

ولازم الحبّاب باب المدينة ، والدماء تفـور في عروقه ، ووجهه يتصبّب غضباً وحماساً ، وقلبه يغلي بالحميَّة علىٰ الإسلام .

ومـا ان رأى أبـاه يقتـرب من بـاب المـدينـة ، ويتقدم زمرتـه من المنافقين والمتخـاذلين حتى استلَّ سيفه ولوَّح به عالياً ، ثم ضرب به وجه النـاقة ، ومن أثر الضربة غيّرت الناقة وجهتها .

وصُعق كبير المنافقين ، فآخر ما كان يتوقّعه أن يقف في وجهـه ابنـه الـذي عـرف فيـه البـرّ والصبـر الـطويل . . ومـادت الأرض بالمنـافق ، ولم يدرِ مـا يفعــل وقـد تيبّس لســانــه في حلقــه من الخــوف والمفـاجأة ، وكـذلك رهـطه الذين وقفـوا مشـدوهين فاغري أفواههم كالأرانب التي فاجأها الصياد .

ونظر المنافق حوله فوجد المسلمين ينظرون إليه ، وعيونهم متشفّية ، فها هو يلقىٰ جزاء نفاقه والخزي والعار يحيطان به من كل جانب .

وبذل جهداً كي يحرِّك لسانه ويقول : اخلِ الطريق يا بني ، ما جرى لك ! ؟ ولماذا تفعل هذا بي ! ؟ ، أوَلست أباك ! ؟

فقال الحبّاب : أولست أنت القائل : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ ؟ تريد الفتنة ، أما والله لسوف تعرفنَّ العزة لك ، أم لرسول الله ، والله لا يأويك سقف « بيت » إلا بإذن رسول الله (ص) .

فاشتدّ اصفرار وجه المنافق الكبير ، وتلفّت حوله يستنجد بزمرته ، فوجدها في ذهول يكاد الواحد منهم أن يدفن رأسه في بطن ناقته ، فها هو الحبّاب

يكشف أمـر أبيه ويفضحـه أمام المـلأ ، ويمنعـه من دخول المدينـة إلا بإذن رسـول الله ، وها هـو مستعد للقتال ولو اجتمعت الخزرج كلها لنجـدة أبيه . وقـد هددّه إن خطا خطوةً واحدة ليضربنّه بالسيف ويقتله من دون أسف ، فـالمنافق لن يـدخل المـدينـة إلاّ ذليـلاً صاغراً ، أو يموت الحبّاب دون ذلك .

وهذا هو الموقف العظيم الـذي قررّه الحَبّـاب وصمم عليه ولن يتخلىٰ عنه أبداً .

وهـا هو الخـزي والـذل والإنكسـار يلفّ كبيـر المنافقين والحيرة تقطع أحشاءه ؛ فهو لا يستطيـع أن يقاتل ابنه ، لأنه يعلم أن ابنه من الأبطال ولا يدانىٰ ، وانَّه مصمِّم على قتله إن خطا خطوةً واحدة ، وما من أحد يستطيع أن يتدخّل بين الأب وابنه .

تدخل بعض المسلمين لإصلاح الأمر ، وطلبوا

من الحبّاب أن يسمح لأبيه بدخول المدينة ، إلاّ أن الحبّاب رفض ذلك بشدة ، فهو يعلم ما يمكن أن يفعل أبوه إن دخل المدينة دخولاً عادياً ، لذلك قال لهم :

ـ لن يدخلها إلا بإذن رسول الله .

وسارع بعضُ آخر من المسلمين إلى رسول الله ليخبره الخبر . فأرسل رسول الله يأمر الحبّاب بأن يخلّي سبيل أبيه .

وعندما جاء أمر رسول الله ، قال الحبّاب :

ـ أما وقد جاء إذن رسول الله بالسماح له بدخول المدينة ، فنعم ، ليدخل .

ودخل كبير المنافقين ، والذلُّ يحيطه من كل جانب ، وقد أخزاه الله وانكسرت شوكته وما له عند أحدٍ من اعتبار ، الكل يحتقره حتىٰ رهطه من

المنافقين ، وسار إلىٰ بيته ، وعيون الناس تلاحقه من كل جانب تنظر إليه شزراً ، وهو يرتجف كقصبة خاوية يابسة .

وفي الوقت نفسه ، كانت ألسنة الناس تمجّد

بطولة ابنه في الدفاع عن عقيدته ودينه .

وعاد الحبّاب إلى رسول الله . ليستقبله الرسول بالبسمة الحانية العطوفة وبالترحاب والسرور ويقول :

ـ لقد وقف الحبّاب موقفاً من الإسلام تجلّى فيه صدق العقيدة والإيمان . وفّق الله الحبّاب وجزاه عن الإسلام خيراً . .